

DOI: 10.54240/2318-012-002-013

## لعبة رماية النشّاب في مصر والشام في العهد المملوكي

(923-648هـ/1250-1517م)

Crossbow shooting in Egypt and the Levant in the Mamluk era

(648-923AH/1250-1517AD)

صص 222- 240

اسم المؤلف المُرسَل: خيرة سياب- Kheira Siab

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة- جامعة مولاي طاهر- بشار- الجزائر.

البريد الإلكتروني: [kheira.siab@univ-bechar.dz](mailto:kheira.siab@univ-bechar.dz)

تاريخ استقبال المقال: 2022/05/27... تاريخ المراجعة: 2022/06/05... تاريخ القبول: 2022/06/11...

الملخص: إنّ شغف الممالك بالرياضة كان لافتاً للنظر في فترتي حكم دولتهم البحرية والبرّجية (922-648هـ/1225-1517م)، وحسب بعض المصادر فالرياضة فيه قد أصبحت فناً على أيديهم؛ إذ ظهرت بأشكالٍ متعدّدة ما جعل الخروج إليها يظهر في مواكب رسمية على رأسها في الغالب سلاطين الدولة، وكانت لعبة رماية النشّاب إحدى هذه الرياضات المهمة التي لا يمكن لمملوكٍ مهما كان أن يتجاهلها، نظراً لنشأتهم العسكرية، فكانت رماية النشّاب طوال العصر المملوكي من الرياضات المتميّزة.

ولعبة (رمي النشّاب) من الألعاب الرياضية القديمة التي أظهرت هيبة سلاطين الممالك أمام الرعيّة وأمام حكام الدّول التي ربطت علاقاتها بها، وهو ما انعكس على تهيئة مساحاتٍ خاصة بهذه اللعبة تليق بموكب السلطان ذاته؛ بل أنفق عليها الحكام من الأموال الكثير وهيأوا لخوضها أماكن تليق بالزّوار من محبي هذه الرياضة؛ إذ يبدو أنّ حضور الرياضة في المجتمع المملوكي كان له وقعُه، كما أنّ حضور السلاطين وتشجيعهم لمثل هذه الرياضة لم يكن سببه التباري في الميادين وكفى؛ بل أنّ دورها الترفيهي على الناس في المناسبات الخاصة والعامة كان واضحاً، من خلال ما سيطرح في متن هذه المداخلة هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنّ التعريف بقوة رماة النشّاب داخل الدولة المملوكيّة كان هو الأهم لإبراز قوّة الدولة ومقدرتها على الدفاع عن مصالحها.

**الكلمات المفتاحية:** المماليك؛ الرماية؛ النُشاب؛ الرياضة؛ الميدان؛ القوس؛ الإنشاءات؛ التسلية؛ الاحتفالات؛ السلاطين.

**Abstract:** The Mamluks' passion for sports was remarkable during the two periods of rule in their Bahri and Burjiya states (648-922AH/1225-1517AD), and according to some sources, sport in it has become an art in their hands. It appeared in many forms, which made it appear in official processions, mostly headed by the sultans of the state, and the crossbow game was one of these important sports that no Mamluk could ignore, given their military upbringing. Crossbow shooting was throughout the Mamluk era one of the distinguished sports.

The crossbow game is one of the ancient sports that showed the prestige of the Mamluk sultans in front of the parish and the rulers of the countries with which it linked its relations, which was reflected in the creation of special spaces for this game worthy of the procession of the Sultan himself. Rather, the rulers spent a lot of money on it and prepared for it places worthy of visitors who love this sport; It seems that the presence of sports in the Mamluk society had an impact, just as the presence of the sultans and their encouragement for such sports was not caused by competition in the fields. It is enough; Rather, its entertainment role for people on private and public occasions was clear. through what will be presented in the body of this intervention on the one hand and on the other hand, the definition of the strength of archers within the Mamluk state was the most important to highlight the strength of the state and its ability to defend its interests.

**keywords:** Mamluks; Shooting; crossbows Sports; field; the bow; constructions; entertainment; festivities; Sultans.

**مقدمة:** كثيراً ما ارتسمت صورة المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط في أشكال يغلب عليها طابع العنف والحروب والحركات الانفصالية والتمزقات السياسية وخلع وسجن الحكام وما شابه ذلك، وفي هذه الصورة تتضح أشكال ويوميات هذه المجتمعات، سواء تعلّق الأمر بحكامها أو عامتها، إلّا أنّ الملاحظ هو ممارسة الناس حكماً أو محكومين حقهم في مختلف نواحي الحياة بالقدر الذي وفّرت له حضارة كلّ دولة من دول العصر الوسيط المتعاقبة على حكم الديار الإسلامية؛ مشرقاً كان أم مغرباً؛ إذ لم تنحصر حياة الناس في هذه المجتمعات في الحروب والكتائب والمساجد وغير ذلك؛ بل مارست حقها في الترفيه والتسلية وأنواع من الرياضات وإن تطوّرت إلى رياضات ذات أهداف تخدم الصالح العام في الدولة، بين بدنية وذهنية، وتعدّ دولة المماليك بفرعها البحري والبرجي (648-922هـ/1225-

1517م)، النموذج فيما يخص ممارسة مجموعة من الرياضات التي اتسمت بالتنظيم، من حيث توفير الميادين وصرف الأموال و تشجيع الحكام للريعية؛ بل إرغامهم في كثير من الأحيان، ومشاركة الحكام والسلاطين فيها بأنفسهم ودعوة من كانوا خارج الدولة لحضور المباريات الرياضية، وتهيئة الميادين التي كانت عاملاً في تشجيع أصحاب الحرف والمهن على كسب المال لسد حاجاتهم وحاجات أسرهم اليومية.

وهذا البحث كغيره من الأبحاث في ميدان التاريخ الوسيط يحتاج إلى مادة علمية لم يكن من السهل تحصيلها لولا إدراكنا بأن مصادر التراث الإسلامي تشكل بحراً من المعلومات، كما إن موضوع رياضة رمي النشاب<sup>1</sup>، والتي هي ليست رياضة القوس كما يتراءى للباحثين من أول وهلة، فهي من الرياضات الهامة التي يعود تاريخها إلى قبل وجود الممالك بتاريخ طويل إلا أنها حازت مكانة ذات أهمية بالغه لدى الممالك، فما أهمية رياضة رمي النشاب؟ وما مدى تأثيرها في سلاطين ومجتمع الدولة المملوكية حتى ذاع صيتها خارج حدودها؟.

1- المنشآت الرياضية وبناء الميادين للعب رياضة رمي النشاب: لم تغفل الدراسات الوسيطية تناول موضوع الرياضة بمختلف الأشكال في مصنفاتهم الموسوعية، فقد روي أنه لما أهبط الله تعالى آدم- عليه السلام- إلى الأرض، وأمن بالحرث والزرع فزرع زرعاً أرسل الله عليه غراباً يبحث زرعاً ويؤسده فشكا آدم- عليه السلام- إلى الله تعالى فأهبط الله -عز وجل- عليه جبريل -عليه السلام- بقوس، ووتن، وسهم، فقال له جبريل -عليه السلام-: "إن الله تبارك وتعالى أرسل إليك ما تدفع أعداؤك"، فقال آدم -عليه السلام-: "جئتني يا جبريل. ما هذا؟، وأخذ القوس، فقال جبريل: "هذا رحمة الله تعالى"، ثم أخذ آدم -عليه السلام- الوتن بيده وقال: "ما هذا؟" قال: "هدية إليك"، ثم أخذ السهم فقال: "ما هذا؟" قال: "هذا

(1)- النشاب والنبل والسهم: أسماء لشيء واحد. وهو عود رفيع من شجر صلب، في طول ذراع تقريباً: ينحت ويسوى، ويركب في مؤخره ريش. قمته حديد مدبب، له سنان في عكس اتجاهه يجعله صعب الإخراج إذا نشب في الجسم-أنظر- محمود شيت خطاب-العسكرية العربية الإسلامية-مؤسسة الرسالة للنشر-قطر-1985م-صص 112، 133.

عصمة"، فقال: "خذها ونُشَاب"، فأخذها آدم، ورمى بها أكثرهم وحيي بها من عدوّه، وكان معلّمه جبريل عليه السلام<sup>1</sup>.

وعن الأصفهاني(ت356هـ/967م)؛ صاحب كتاب الأغاني، في حديثه عن أهل الحيرة والفُرس أوقفنا على أنّ رماية النُشَاب كانت من الرياضات الهامة في هذه المجتمعات؛ إذ كان أهل الحيرة والفُرس يعلمون أولادهم رماية النُشَاب ليكونوا من الرُماة المَهَرّة يستعملون فنّهم في قهر أعدائهم وفي الصيد والحروب<sup>2</sup>، أمّا عن رياضة رمي النُشَاب في دولة المماليك فقد كانت من الرياضات الهامة، خاصةً وأنّها جمعت في قيمتها بين الترفيه والتسلية وبين التدبير في المجال الحربي والعسكري، ويبدو أنّ صيتها كان ضارباً في الأقطار المجاورة لدولة المماليك البحريّة(648-784هـ/1251-1383م)، وهذا ما انعكسه المنشآت المعماريّة التي خصّصت لهذه الرياضة، كيف لا والحاكم هو أحد عشاق رياضة رمي النُشَاب والمتباري الرئيسي فيها.

ولمّا كان السلطان الظاهر رُكن الدين بيبرس البندقداري(658-676هـ/1261-1278م) محبّاً لركوب الخيل الجياد، ورمي النبال، فقام بإنشاء ميدان دعاه "ميدان القَبَق"، ويقال له أيضاً: "الميدان الأسود"، و"ميدان العُبد"، و"الميدان الأخضر"، و"ميدان السِبَاق"، حيث بسط هذه المنشأة المعماريّة على مساحة جغرافيّة واسعة امتدّت من التّقرة التي ينزل إليها من قلعة الجبل إلى قُبّة النصر التي هي تحت الجبل الأحمر، وبنى فيه مصطبة سنة (666هـ/1267م) للاحتفال برمي النُشَاب والتدرّب في المجالات العسكريّة، فكان يحضر يومياً إلى هذا الميدان ويجلس على المصطبة فلا يغادر إلّا في وقت متأخّر من الليل.

لقد كان السلطان الظاهر يمارس رياضة رمي النُشَاب، ويحرّض الناس على الرمي والنضال والرهان داخل الميدان<sup>3</sup>، ممّا شجّع العامّة والخاصّة على ممارسة هذا الفنّ من الرياضات والتي تجاوز الشغف بلعبها العامّة إلى طبقة الخاصة من الحكام والأمراء والعلماء وغيرهم، فكان يستقبل الوافدين إليه في هذا الميدان كاستقباله للرُسل من جميع الأقطار

(1)- مؤلّف مجهول- مخطوط كتاب في رمي النُشَاب- ص9 Kitāb fī Rimāyat an-nuṣṣāb -1494//الموقع الإلكتروني:

<https://digital.staatsbibliothek-berlin.de/werkansicht?PPN=PPN744044316&PHYSID>

(2)- جواد علي-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام-ط4-دار الساقى-1422هـ/2001م-ج10-ص99.

(3)- جرجي زيدان-تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فدلّة في تاريخ مصر القديم -ط2-مؤسسة هنداوي-المملكة المتّحدة-

2017-ص367.

التي قدمت إليه لتهنئته بفتح بحر أبي المناجأ<sup>1</sup>، ويورد المؤرخ المقرئ (ت845هـ/1442م) في هذه الجملة المسألة بشكل مختصر.

وهذه المقاربات الاصطلاحية توحى بأن الميدان كان مُهيئاً بما ينبغي للمناسبة، فهذا السلطان الذي رجع من فتح أحد الأماكن (بحر أبي المناجأ)، وهذه الرُّسل التي مثلت الأقطار جاءت تقرباً بقوة السلطان الظاهر بيبرس، مما يُظهر للميدان بُعداً سياسياً وحربياً واقتصادياً واجتماعياً، خاصةً وأنه صار ملتقى لأصحاب المهن والحرف، لقد أنشأ السلاطين المماليك الميادين ذات الساحات الواسعة وغرسوا بها الأشجار وأقاموا بها الاحتفالات ومارسوا بها الألعاب الرياضية المختلفة مثل، رمي النشاب، وقذف الرماح، ولعبة الكرة والصَوْلجان أو الصَوْلجة، ولعبة القَبْقُ، ومن أشهر هذه الميادين، الميدان الناصري الذي أنشأه الناصر محمد بن قلاوون<sup>2</sup>.

2- الميدان ساحة للاحتفالات برمي النشاب: أصبحت الرياضة فناً على أيدي المماليك، فظهرت في أشكال متعددة، وصارت-بسبب تقديرهم لها - تخرج لها مواكب رسمية، وإن كان قد عرّف عنها بعض السلاطين، فإنها كانت لا تلبث أن تعود وذلك دليل على شغف المماليك بالترفيه والتسلية<sup>3</sup>، ومن الأتيام الحافلة التي شهدتها الميدان، الأتيام العشرة الأولى من ذي القعدة سنة 662هـ/1265م، بمناسبة ختان الملك السعيد محمد بركة خان، ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري؛ إذ هيأ السلطان بيبرس فرسانه ومماليكه في أكمل زيهم بآتم عُدّة وأبهى زينة، ودعت رُسله ملك التتار حتى يُريهم مهارة ومقدرة جيش مصر وعز الدولة المملوكية فدهشوا وبهروا مما رأوه، ونصّب بيبرس القَبْقُ بالميدان، وكان يخلع على كل من يصيبه فرساً بما عليه من زينة وخلعة، وتمّ اللعب بالرماح والرمي بالنشاب والمبارزة بالسيوف، وأقام السلطان الولائم الحافلة وخلع على أرباب الدولة وأعيانها، وفي اليوم

(1)- تقي الدين المقرئ أحمد بن علي- السلوك لمعرفة دول الملوك- تع محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- 1418/1997-ج2-ص55.

(2) جهان ممدوح مأمون- من سيرة المماليك- ط2- نهضة مصر- مصر- 2009-ص115.

(3)- لطفي أحمد نصار- وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- 1999- ص 189-مدونة المفكرة- الفروسية والرمية في عصر المماليك- الأربعة، 8 ديسمبر 2021م.

<https://almufakira.blogspot.com/2021/12/blog-post.html>

العاشر عمل السُّمَّاط بقلعة الجبل لذات مناسبة خِتان الملك سعيد بن الظاهر بيبرس ومعه بعض أولاد الأمراء، ودُعِيَ بعض أولاد الفقراء واليتامى فَخُتِنُوا وَكُسُوا<sup>1</sup>.

ومن الأَيَّام الحافلة التي شهدها الميدان أيضاً، الأسبوع الأخير من شهر رمضان سنة 672هـ/1274م؛ إذ أنَّ السلطان بيبرس كان قد اطمأنَّ إلى أحوال الدولة من الخطر الذي كان يهدِّدها، من قبل التتار بالشام، وعاد إلى مصر، ونصَّب القُبْقُ، ولعب مع المماليك وأبدى براعةً فائقة بالرُفْي بالنشاب، ولعبت المماليك بالرماح والدبابيس وبرُفْي النَّشَاب وتسابقوا بالخيول، وجرى من اللعب والزينة ما لا يوصف مدَّة أسبوعٍ بالميدان، وخلع السلطان بيبرس على عددٍ كبير من الأمراء والأعيان والمماليك، وحضر من العامة والمتفرجين أعداد كبيرة وابتهجوا وسرُّوا سروراً عظيماً بتلك الأَيَّام لأنَّها كانت أَيَّام عيد فتضاعفت بسببه الأفراح للخاصة والعامة، وقد سجَّل الشعراء تلك الأَيَّام في أشعارهم<sup>2</sup>.

وقد شهد ميدان القُبْقُ أَيْاماً احتفالية هامة على عهد السلطان الملك الأشرف خليل (666-693هـ/1268-1294م)، ومنها بعض الأَيَّام في ذي الحِجَّة سنة 692هـ/1294م، وذلك بمناسبة استقبال السلطان وليَّ عهده الذي قَرَّبَتْ ولادته ظناً منه أنَّه سيكون ذكراً يخلفه في الملك إلا أنَّه رُزِق بنتاً، ونظراً لأنَّه كان قد جهَّز الميدان للمناسبة لم يُبدِ حزنه للناس وأظهر أنَّه يريد خِتان أخيه محمَّد، وابن أخيه مُظَفَّر الدين موسى، فأمر بأنَّ يلبس الأمراء والمماليك آلة الحرب من السلاح الكامل وخيولهم...؛ فاهتمَّ الأمراء والعسكر اهتماماً كبيراً لذلك...، وتنافسوا في إظهار التجمُّل الزائد وخرج في اليوم الرابع من أعلام الأمراء السوق (الذين يسوقون بالرمح) ونصَّبوا عدَّة صواوين فيها سائر البقول والمأكَل فصار الميدان سوقاً عظيماً، ونزل السلطان من قلعة الجبل بعساكره وعلمهم لامة الحرب، وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء إلا من خلفه عذر لرؤية السلطان فأقام السلطان يومه وحصل للناس بهذا الاجتماع ما يعزُّ وجود مثله<sup>3</sup>.

3- أقدمُ ميادين رياضة رُفْي النَّشَاب في عهد السلطان الظاهر بيبرس، نذكر الآتي:

(1)- محمَّد الششتاوي- ميادين القاهرة في العصر المملوكي- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة -د-ت-ص ص 67، 68.

(2)- محمَّد الششتاوي- المرجع نفسه-ص ص 67، 68.

(3)-تقِّي الدين المقرئ أحمد بن علي- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار-ط1-دار الكتب العلمية-بيروت-1418 هـ-ص111.

3-1. ميدان القَبَق: يعدّ ميدان القَبَق من أقدم ميادين رياضة النَشَاب وغيرها من الألعاب والذي أنشأه الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقاري سنة 666هـ/1267م وفيه درّب الجيش، كما درّب العامّة على جميع أنواع الفروسية، من حركاتٍ ورميٍ بالنشاب، ولعبٍ بالرمح، والمصارعة، وبلغ من اهتمام الظاهر بيبرس بتدريب الجنود وأفراد العامّة، أنّه كان ينزل كلّ يومٍ إلى شُرفته بالميدان، من الظهر إلى الغروب، مشتركاً في الرماية، مشجّعاً الشعب على أساليب القتال والمبارزة بالرمح والرمي بالنشاب<sup>1</sup>، وأقبل الناس على التدريب على أنواع الفروسية، وكثيراً ما أقيمت هذه الحفلات ما بين خواصه ومماليكه توفّي فيها توزيع الجوائز على الفائزين من المتبارين، وكان لهذا أحسن الأثر في تدريب الشعب خاصته وعامته على جميع أنواع الفروسية، فشمل جميع الطوائف.

وظلّ هذا الميدان من بعده في دولتي المماليك، ميدان رهانٍ، يتبارون فيه في ألعاب الفروسية، وحلبةً لسباق الخيل، كما كان ميداناً للعبة القَبَق فعُرف بها، وقد استحدث المؤيّد، شيخ بالقلعة مكاناً لرمي النشاب عُرف بمرمي النشاب، كان يرمي فيه، وكان يخرج إلى شاطئ النيل ويشاهد المماليك السلطانية، وهم يلعبون الرمح ناحية بُولاق، مع أنّه كان في ذلك الوقت لا ينهض أن يقوم؛ بل يُحمل على الأعناق، وشاهد الناس في بُولاق أياًّما وليالٍ لم يُسمع بمثلها، كما كان يتوجّه إلى الميدان لعرض الرّمّاحة أمامه<sup>2</sup>.

2-4. سرّ إنشاء الميادين في دولة المماليك: قيل عن الرمي بالنشاب "كانت هذه الصناعة من أهمّ الأمور وأشرفها وأعزّها وأكرمها، وهي عُدة لدفع كلّ شدّة يوم التّلاق"<sup>3</sup>، وورد في مخطوط علم الفروسية، النُشَاب والرُمح وغير ذلك لمؤلّف مجهول الحديث عن سرّ الميادين التي ذكرها الشيخ نجم الدين وغيره من المشايخ المتقدّمين، أنّ الأهداف التي كان يقصدها حكام المماليك من وراء إنشاء الميادين لم تكن معلومة في أوساط عامّة الناس الذين كانوا يحضرون المناسبات التي كانت تُقام بها، فحسبهم الفُرجة والتسلية عموماً، أمّا أصحاب السلطة من السلاطين والأمراء والقاصدين من قبل ملوك الدول والإمارات الأخرى فالأمر عندهم معلوم وهو اكتشاف القدرات الدفاعيّة لدى دولة المماليك.

(1)- نفسه.

(2)- لطفى أحمد نصار- وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر- ص181-182.

(3)- لطفى أحمد نصار- المرجع نفسه- ص182.

وفي نصِّ صاحب المخطوط إشارات واضحة على ذلك من خلال قوله: "... ولم يكن لأهل زماننا في علم الميادين ودورائها سوى لِفُرْجة الناس والملوك والأمراء والأجناد ولم يُعَلِّموا سرَّها الذي وُضِعت له، ولم يذكروا عِدَاد مَنْ فيها من الفرسان وهذا دليل على أنهم لم يُعَلِّموا سرَّ الميادين... قلت: "اعلم -أيَّدك الله- أنَّ سرَّ الميادين التي وضعها المتقدمون... إنما هو حيلة تحتال بها على عدُوِّك حتَّى تحصره معك ولا يبقى له حلٌّ قطَّ من يدك، فعلى أيِّ الوجوه دارت هذه الحيلة حاروا ما عدَّد الفرسان"<sup>1</sup>، يقول صاحب المخطوط في موضع آخر: "...وهذه الميادين التي ذكرها المتقدمون لم يشرِّح أحدهم في زماننا..."<sup>2</sup>.

#### 5-عِلْمُ الميادين ورماية النُّشاب، يمكن حصرها في النقاط التالية:

1. 5- التربيّة الدينيّة للمملوك: لقد كانت هذه المرحلة من تعليم المماليك، تبدأ عند سنِّ البلوغ، حيث يبدأ تدريبهم على فنون الحرب، من رمي السهام، ولعب الرمح، والضرب بالسيف، وركوب الخيل، ورمي النشاب، ويُشَدَّد في تعليمهم فلا يُتسامح مع المملوك إذا أخطأ، حيث يُعاقب عقابًا قاسيًا، خاصة في حالة ظهور تمرُّده من الناحية الأخلاقية، وفي حالة التدريبات عادةً ما يُقسم المماليك إلى معلِّم يتولَّى تعليم العلوم الرياضية، ومعلِّم لفنون الرماية على اختلاف أنواعها.<sup>3</sup>

وقد أراد السلطان المنصور قلاوون أن يكون برنامج إعداد المملوك على المنهج الذي سلكه الملك الصالح لهم، وهو أن يُؤتى بالمملوك صغير السنّ، وكان الرسم إذ ذاك ألا تُجلب إلا المماليك الصغار، فإذا شبَّ الواحد من المماليك علّمه الفقه، وأقرأه فيه مقدّمة فإذا صار إلى سنِّ البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي النشاب، ولعب الرمح، ونحو ذلك، ويتسلّم كلّ طائفة معلّم حتّى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه، وإذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسّر جندي ولا أمير أن يحدّثهم أو يدنو منهم، فيُنقل إلى الخدمة ويتنقل في أطوارها رتبةً بعد رتبةٍ إلى أن يصير من الأمراء، فلا يبلغ هذه الرتبة إلا

(1) -مجهول- مخطوط علم الفروسية النشاب والرمح وغير ذلك- مرقم ب: 4198 نشرته مكتبة أيا صوفيا. الموقع الالكتروني:

file:///C:/Users/client/Downloads/MAKHTOT%2520ص14.

(2) -مجهول- المرجع نفسه ص16.

(3) -ابراهيم علي شعوط- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ- المكتب الإسلامي- المكتب- بيروت- 1988- ص 340.



وقد تهذبت أخلاقه وكثر آدابه وامتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه، واشتدّ ساعده في رماية النشّاب وحسن لعبه بالرمح ومُزّن على ركوب الخيل<sup>1</sup>.

2.5- تعليم رماية النشّاب ورياضاتٍ أخرى للمملوك: إنّ المعرفة برمي السهم والنشّاب تعدّ من التدريبات التي كانت تُزوّد بها فئة المماليك، وقد ذكر المؤرّخ العيّني(ت855هـ/1452م) ما يحتاجه رامي السهم، من معرفة الجلوس والقبض على السهم بأصابع اليد اليسرى والعقد على الوتر بأصابع اليد اليمنى عند الرمي بالقوس والنشّاب، وغيرها من أوصاف السهم، من حيث طوله ووزنه<sup>2</sup>، ولضرورة التدريب على الرمي بالنشّاب، فقد تعلّم السلطان شيخ المحمودي الرمي بالنشّاب عام 804هـ/1402م عندما كان واليًا على طرابلس<sup>3</sup>، واشتهر برمي النشّاب نائب حمّاه<sup>4</sup>، "وابن العطار الذي وصّف بأنّه يجيد الرمي بالنشّاب علمًا وعملاً، وكثيرًا ما انتهى أمرُ لعبة الرمي هذه إلى الطعان بالرمح والسيوف؛ إذ ينقسم اللاعبون على فريقين<sup>4</sup>، ويأخذون في المبارزة والطعان، واشتهر عددٌ من الأمراء المماليك وسكان الجبال في طرابلس بإتقان رمي النشّاب.

كما كان الأهالي في بلاد الشام يُتقنون اللعب بالسيوف، ففي سنة 803هـ/1400م عندما سمع أهالي دمشق بقدوم تيمورلنك ووصوله إلى ظاهر حلب تجمهروا<sup>5</sup> لإظهار مهاراتهم الحربيّة في شكل ألعابٍ بالرمي بمختلف آلات الرماية، هذا ولم تُفرد المصادر المملوكيّة لمعلّي رياضة رمي النشّاب وشيوخه فصولًا أو دراسات خاصة، على الرغم من تأكيد الكثير من الدراسات الوسيطيّة على أنّ الرياضة كانت علمًا قائمًا بذاته، إلّا ما ورد في كتب التراجم من إشاراتٍ مبعثرة عن المعلّمين الذين تولّوا القيام بمهمّة تعليم المماليك رياضة الرمي بالنشّاب، سواءً في الطّباق أو غيرها؛ إذ اقترن لفظ الفروسيّة بالألفاظِ مُعلّم

(1)- محمود الحريري-مصر في العصور الوسطى-المكتب المصري-القاهرة-2003-ص254.

(2)- بدر الدين العيني- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي" ط2-تح فهم محمود علوي شلتوت ومحمد مصطفى زيادة-مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة-1998-ص231-233 .

(3)-محمد بن علي الشوكاني- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع-دار الكتاب الإسلامي-القاهرة-ج1-ص383 .

(4)- بردي بن عبد الله المعروف بابن أخي دمرداش تولى نيابة حمّاه وعصى الناصر فرج مع شيخ المحمودي، واشتهر بإتقان مختلف أنواع الفروسية. أنظر- يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن-المهمل الصافي والمستوفي بعد الوافي-تح محمد أمين-الهيئة المصريّة العامة للكتاب-1984-ج3-ص50.

(5)- ابن تغري بردي-المصدر نفسه-ج2-ص176.

وأستاذٍ ورأسٍ<sup>1</sup>، وكان المملوك لا يصل إلى مرتبة سيده إلا بعد أن يترقى تربية عسكرية ويتقن تثقيفًا عامًا في مدارس خاصة أعدت لهذا الغرض، ثم بعد ذلك يلحق بجيش سيده ويتدرب على رمي النشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل، خاصة أن نظام الممالك قام على أساس الغلبة للأقوى، فكان يصل إلى السلطنة أعظم الأمراء نفوذًا وأكثرهم أتباعًا<sup>2</sup>.

والدخول إلى الميدان للتباري لم يكن بالأمر السهل على محبي هذه الرياضة، فقد جاء في مخطوط علم الفروسية النشاب والرمح وغير ذلك<sup>3</sup> في ذكر الميادين "أن أول ما يريد المتعلم تعلمه بعد علم البنود وأثقافها، ثم علم الميادين لتتمرن أعضاؤه على الدخول والخروج مع الفرسان والانعطاف والكسرات يُمنه ويُسرّة ومقبلاً ومُدبراً، ويُعلم مقامه مع تقدّمه ومقام غيره إلى غير ذلك فيصير نصيرًا بذلك، كما ورد في باب الرمي بالنشاب على ظهور الخيل شروطها، ورمي القَبَق والتنقيل سوى الخيل قليلاً، ثم السوق يعني، الجري الشديد بعد تنقيل الفرس، والرمي يعني، رمي السهم يكون بعد قوّة جري الفرس، فهو أشدّ ما يكون برمي السهم، ويستمرّ القوس في قوّة جريه بعد ذلك إلى آخر الميدان "والأصل إتقان الركوب، فاجتهد، احفظ لرأس الخيل بالأرسان"، والأصل في رمي القَبَق، والقَبَق إتقان على الركوب على الخيل وحفظ رؤوسها باللجم، والتدرب عليها والكرّ والفرح حتى يتعودها الفارس، وهذا علمٌ كبير يحتاج كلّ فارسٍ إليه والأولى، يأخذ ذلك من الأستاذين في علم الرُمح فإنهم أخبروا بهذه الأمور<sup>4</sup>.

أوقفنا صاحب المخطوط على أن عدم تعلم هذه الرياضات على أستاذة ومدربين لها حين ذكر النص: "ولما ضعفت هذه الأسباب بعدهم وعدم اجتماعها عندهم وقلة الطلاب لها حلّ عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدّموه من هذه الأسباب، ودخل على عسكر الإسلام الدخيل؛ إذ صار فيهم من عوام الناس ليس له أهلية فحصل الطمع في الجند حتى صاروا ضحكة لعوام الناس في أوقات عرض الجيش واختياره، حين اعتبار الجند في بعض

(1)- مدونة المفكرة - الفروسية والرماية في عصر المماليك-الأربعاء، 8 ديسمبر 2021.

<https://almufakira.blogspot.com/2021/12/blog-post.html>

(2)- لطفي أحمد نصار - مرجع سابق-ص181.

(3)- مجهول - مخطوط علم الفروسية النشاب والرمح وغير ذلك- ص14.

(4)- مجهول -المرجع نفسه-ص16.

الفروسية ورُمي النشاب وغيره من الأمور الحربية، فحصل الاستحقاق بهم حتى طمع العدو والمخذول ما حصل للمسلمين من الوهن...<sup>1</sup>، وكان الأشرف قايتباي(872-901هـ/1469م-1497م) يحرص على تعليم الفروسية في عهده لفئات كثيرة من الشعب وليس الممالك وحدهم حتى أنه في صفر سنة 873هـ/1429م أوقف صَرْف جوامك أولاد الناس وجماعة من الفقهاء والمتعلمين، "وأحضر إليهم بقوس ثقيل ومع نُشاب طُومار، وامتنح هؤلاء فكان يدفع إلى كلٍّ منهم ذلك القوس الثقيل والنُشاب، فكلُّ مَنْ لا يقدر يسحب ذلك القوس يقطع جامِكِيته، وعجز بعضهم عن ذلك، فوبَّخهم السلطان وقطع أرزاق جماعة كثيرة منهم<sup>2</sup>.

#### 6- أشهر النشّابين في دولتي الممالك، نذكر الآتي:

- محمد بن علي الصغير القازاني: ومما ورد حول تفوق الممالك في رمي النشاب وبلوغهم مرتبة الأستاذية في ذلك، محمد بن علي الصغير القازاني الذي تحدّث عنه صاحب كتاب نيل الأمل في ذيل الدول، في عرضه لحوادث سنة 858هـ/1455م حيث وصفه بأنّه كان علامة عصره في رمي النشاب بقوله: "وكان قد انفرد في فنّه وفاق فيه الناس، وانتهت إليه رئاسة الرماية، وأحبّه الظاهر جفمق وقدمه وأدناه وله رسالة مطوّلة في الرمي وغيرها أيضًا وشهرته مشهورة"<sup>3</sup>، وقد توفيّ حسب معلمي النشاب، محمد بن علي الصغير القازاني الأصل الحنفي، وقد جاوز العقد الثامن من عمره- رحمه الله-<sup>4</sup>، وفي عهد المؤيد شيخ توفيّ عزّ الدين بن جماعة (ت819هـ/1416م)، وهو من أشهر علماء العصر، إلى جانب معرفته بالفروسية والرمح والنشاب والدبوس.

(1)- مجهول - المرجع نفسه-ص17.

(2)- لطفي أحمد نصار - مرجع سابق-ص191.

(3)- زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الملطي ثم القاهري الحنفي (المتوفى: 920هـ-نيل الأمل في ذيل الدول-ط1-تح عمر عبد السلام تدمري-المكتبة العصرية-بيروت-1422 هـ -2002-ج5-ص127- يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المعاسن -حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور-تح محمد كمال الدين عز الدين-عالم الكتب-1410 -1990م-ج2-ص513-514. يوسف بن تغري -لنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة-وزارة الثقافة - مصر-1383 -1963-ج16-ص173 .

(4)- الملطي زين الدين، نيل الأمل في ذيل الدول-ج5-ص127. ابن تغري- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة-ج16-ص173-

برقوق الناصري الظاهري: ورد في المصادر أنه جاءت الأخبار في شوال سنة 877هـ/1473م ب وفاة برقوق الناصري الظاهري، نائب الشام، وكان "شجاعاً، بطلاً، مقداماً في الحرب، عارفاً بأنواع الفروسية في فنون لعب الرمح والرماية بالنشاب".<sup>1</sup>

المؤرخ ابن ثغري بردي(874-812هـ/1409-1470م): برع المؤرخ ابن ثغري بردي في فنون الفروسية كلعب الرمح ورمي النشاب، وسوق البرجاس، ولعب الكرة والمحمل، وأخذ هذه الفنون عن عظماء هذا الشأن، وفاق فيهم على أُناده، وساد على أقرانه علماً وعملاً، مع الديانة والصيانة والعفة عن المنكرات والفروج والاعتكاف عن الناس، وترك التردد إلى أعيان الدولة ولا إلى السلطان، مع حُسن المحاضرة، ولُطف المنادمة، والجشمة الزائدة، والحياء الكثير، واتساع الباع في علوم الآداب والتاريخ وأيام الناس، قلَّ أن يخلو مجلسه من مذكرات العلوم، جالسته الناس كثيراً، وتأديت بتربيته، وحُسن رأيه وسياسته وتدبيره يُضرب به المثل في الحياء والسكون، ما سمعته شتم أحداً من غلمانه ولا من حاشيته.<sup>2</sup>

المؤيد شيخ: قال عنه المؤرخون "أنه تعلم الفروسية من اللعب بالرمح ورمي النشاب والضرب بالسيف، ومهر إليه في أول حياته في جميع ذلك عندما كان عند برقوق بعد أن قدّمه تاجره محمود"<sup>3</sup>، وقد بلغ من شغف الظاهر ببيرس -وهو من شجع على هذه الرياضة سابقاً- بالفروسية والرماية أنه كثر اشتغاله بعمل النشاب (السهم) بيده، فاقتدى به الأمراء والخواص، فعمل جملة نشاب بيده، نحتها ورئشها وقصّلها، وكان ذلك في شوال سنة 670هـ/1272م إبان حرب التتار في عهد أباغا بن هولاكو.<sup>4</sup>

أنس بن العادل كتُبغا الملقب بالمجاهد: أنس بن العادل كتُبغا، الذي لُقّب بالمجاهد، ممّن برعوا في الفروسية من أولاد السلاطين؛ فقد مهّر في الفروسية، ورمي النشاب، حتّى صار أُوحد عصره فيه، ويقال: إنّه رمى على قوسٍ زنة مائة وثمانين رطلاً" وقيل: "أنّ سَلار التتري

(1)- لطفي أحمد نصار - مصدر سابق. ص192.

(2)- ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ط1- تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرّج أحاديثه- عبد القادر الأرنؤوط- دار ابن كثير- دمشق- بيروت- 1406هـ/1986م- ج9- صص473، 472/ليلي الصبّاغ: ابن ثغري بردي، الموسوعة العربية العالمية- ط2- مؤسسة أعمال الموسوعة- المملكة العربية السعودية- الرياض- 1419هـ- 1999م- ص679.

(3)- لطفي أحمد نصار - مرجع سابق - ص190.

(4)- مدونة المفكرة - الفروسية والرماية في عصر المماليك- الأربعة، 8 ديسمبر 2021.

<https://almufakira.blogspot.com/2021/12/blog-post.html>

المنصوري من خواص السلطان الأشرف خليل كان لا يتحرك على ظهر فرسه إذا ركب الأُمير عَنَبَر السَحَرَتِي الناصري الذي أمر طَبْلَخَانَاه، وكان يُحَسِّن الفروسية ويكثر من لعب النشاب<sup>1</sup>.

طَلَقُضْبَا الظاهري المعمر (ت745هـ/1345م): رُمِيَ النشاب وركوب الخيل كانا لا يتوقفان عند سِنٍّ معيّنة؛ فقد رمى النشاب وركب الخيول بعض المماليك المعمرين مثل، طَلَقُضْبَا الظاهري الذي دخل في الهرم وجاوز المائة، وهو يرمي النشاب ويركب الخيل، وكذا قراطاي الأشرفي الجوكندار (ت734هـ/1335م) الذي أَمِرَ بدمشق سنة 726هـ/1327م، ثم أعيد نياية طرابلس، وكان مشهورًا بالفروسية<sup>2</sup>.

الأشرف شعبان: وفي عهد السلطان الأشرف شعبان صار التنافس في ألعاب الفروسية بين المماليك السلطانية والمماليك اليلبغاوية، وأصبح ليس هناك للناس شُغْلٌ سوى التفرّج على المقاتلين من الفريقين على شاطئ النيل، وأغلقت أسواق القاهرة لذلك، وصار الأُمير قَجْمَاس الحلازي يمرّ في قارب لطايف ومعه طائفة، حتّى يقرب من البر ويرمى بالنشاب فيرموه أيضًا ويتسابقوا، وسبح العامة في النيل حتّى وصلوا إلى السلطان وهم يهتفون السلطان منصور، فأخذ يضعف أمر بلبغا<sup>3</sup>.

زَيْنُ الدِّينِ فارس الطّوَاشِي الخازندار (ت726هـ/1423م): وفي عهد الأشرف برسباي (825-841هـ/1423-1438م) كان زَيْنُ الدين فارس الطّوَاشِي الخازندار يرمي النشاب إلى غاية ما يكون في الحسن إلى جانب اشتغاله بالعلم<sup>4</sup>.

الملك الظاهر أبو سعيد تَمَرِيغًا: حذق في بعض الصنائع، بحيث صار يعمل المُقَسَّى الفائقة بيده، ويعمل السهام عملاً فائقًا، ويرمي بها أحسن رُمي مع الفروسية التامة» وقيل: "كانت تُنسب إليه أشياء كثيرة من آلة الحرب ورُمي النشاب، ولعب الرمح"<sup>5</sup>.

(1)- لطفى أحمد نصار - مرجع سابق - ص187.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه - ص190.

(4)- نفسه - ص191.

(5)- نفسه - ص199.

الشيخ علاء الدين الأحميمي: كان يشتهر بلقب النقيب، وكان علامة في الرمي بالنشاب، عارفاً به، وكان له اليد الطولى في ذلك، وكان خطيباً حوى كل فنٍ وعلوماً شتى<sup>1</sup>. ومن خلال ما تقدّم ذكره يظهر أنّ لعبة رمي النشاب شكّلت ظاهرة اجتماعية وسياسية هامة في دولة المماليك، حيث لم تستثن المشاركة فيها أي فرد في هذه المجتمعات وهو ما اتضح من خلال أعلام هذه الرماية، من علماء وحكام وأمرائ وعامة؛ كباراً كانوا أو صغراً، حيث استخدمت الخيول والفيلة وغيرها من الحيوانات للاستعانة على التفوق في لعب هذه الرياضة، ويُذكر أنّ السلطان الغوري(906-922هـ/1502-1517م) كان قد اعتاد في الغالب بعد أن يحضر ممالك يرمون بالنشاب على الخيل أن يحضر الحيوانات كالأفيال للمصارعة أمامه وكذا السبع والهرير<sup>2</sup>.

8- رمي النشاب في شهر رمضان: ممّا يمكن الإشارة إليه أنّ التدريبات الرياضية لم تكن تتوقّف في شهر رمضان، فقد كان السلطان الظاهر بيبرس البندقداري من أشهر من حرص على تلك التدريبات في شهر رمضان مع ممالك وجنوده في ميدان القلعة الذي أنشأه لذات الغرض، وكان يعطي الهدايا ويقدم الجوائز لمن يرى فيه القوة والمهارة، فقد ورد عند مؤرخ عصر المماليك المقريزي، في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك "...، ورسم العسكر بالتأهب للعب القَبَق بالرمي بالرمح على هدفٍ عالي، ورمي النشاب، فيركب من كلّ عشرة فرسان في أحسن زيمهم وقت الحرب، وركب السلطان الحلقة ورمى بالنشاب، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرساً من خيله الخاصة، فاستمر ذلك أياماً تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس(ألة لها رأس مدببة)، وقد كان السلطان يفرّق فيها من الخيل والقمصان الغالية<sup>3</sup> على المتفوقين الرماية.

9- دور الميادين في ربط علاقة السلاطين بالرعية: أصبحت الميادين في زمن المماليك تمثل أبرز مكان يلتقي فيه الحكام مع العامة من الناس، خاصة في ظل استخدام هؤلاء الحكام هذه المنشآت للاحتفالات ولعب مجموعة من الرياضات، سواءً بمشاركة السلطان أو عدمها وتتركز اللعب للناس فيما بينهم لاكتشاف قدراتهم الدفاعية، هذا بالإضافة إلى استخدام

(1)- المقريزي-السلوك مصدر سابق-ج2- ص 84.

(2)-المقريزي-المصدر نفسه-ج2 - ص71.

(3)- ابن إياس الحنفي-بدائع الزهور في وقائع الدهور-ج4-ص145.

الميادين من قبل السلاطين لاستقبال الوافدين إلى السلطنة من أجل تهنئة الحاكم بالانتصارات الحربية أو الأعياد وما إلى ذلك من المناسبات، وهو ما فرض تهيئة الميادين لتكون في مستوى الاستقبال، فقد كان للميادين التي أنشئت في مصر زمن المماليك مهمة نبيلة من خلال ما ورد في كتاب السلوك "...، وفي سابع عشره (17 محرّم من سنة 667هـ/1268م) خلع السلطان بالميدان وفرّق على ألف وسبعمائة شخص لثمان خيل وفرّق ألف وثمانمائة فرس كلّ ذلك وهو جالسٌ حتى فرغ..."<sup>1</sup>.

وقد كان نزول السلطان للميدان من العادات المتعارف عليها فهذا هو المكان الذي يسمح له بالقرب من الرعية من جهة واستقبال الوافدين إلى السلطنة من خارجها من جهة ثانية، فقد "...نزل السلطان المملوكي سنة 914هـ/1508م إلى الميدان وجلس بالمقعد الذي به المصطبة واجتمع حوله الأمراء، ثم حضر قاصد صاحب بغداد، وفي ذلك اليوم ساقوا الرماحة بالميدان قدام السلطان، دخل المخمل، وكسوة الكعبة، وطافوا بها في الميدان واجتمع الجم الغفير من الناس بسبب الفُرجة وكان يوماً مشهوداً، لاسيّما بحضور قاصد بغداد، ثم بعد أيام عزم السلطان على القاصد بالميدان وأحضروا قدامه جماعة من المماليك وهم لابسون السلاح فرمّوا في ذلك اليوم رماية النشاب على الخيول، وأظهروا أنواعاً غريبة في فنّ النشاب، وأدهش ذلك القاصد..."<sup>2</sup>.

ومن العطايا الهامة للمماليك من قبل سلطانهم حين يبدون براعتهم في تعلّم فنون الرماية الدفاعية وخاصة رماية النشاب ذكر المؤرخ ابن إياس (ت930هـ/1525م) في معرض حديثه عن حوادث سنة 916هـ/1511م أنّ السلطان...نقّق في هذه السنة في أحد اللقّاءات بمماليكه بالميدان على مجموعة مخصوصة من الخاصكية..ممن كان يرمي بالنشاب على الخيل في الميدان ويلعب بالرمح، لكل واحدٍ منهم ستّ عشرة ألف درهم، وأعطى لجماعة منهم ستّ آلاف درهم، فبلغت هذه النفقة أربعين ألف ديناراً<sup>3</sup>، وفي جمادى الأولى سنة 791هـ/1389م جلس السلطان الظاهر برقوق وأنفق على مماليك الأمراء المطبلخانات والمثيرات لكل واحدٍ منهم أربعمائة درهم، وكذا أرباب الوظائف وغيرهم، فرّق بينهم القبيبي

(1)- ابن إياس الحنفي-المصدر نفسه-ج4-ص128.

(2)- لطفى أحمد نصار-مرجع سابق-ص188.

(3)- لطفى أحمد نصار-المرجع نفسه-ص186.

والنُشَاب لمن يُحَسِّن الرُفْي، كما كان قد سبق أن أنفق على جماعة من الأجناد البطالة وأعطاهم القِسْي والنشَاب، وأمرهم بأن يكونوا على شرايف القلعة، كما أمر بإحضار رماة قوُس الرِجُل من الإسكندريّة، ولما حضر رماة قسّي الرِجُل في جمادى الآخرة من نفس السنة نزل السلطان والخليفة من القلعة، وكان عددهم نحو الثلاثمائة رامٍ...؛ ففرّق فيهم مائة درهم لكل واحدٍ<sup>1</sup>.

**10- ممارسة سلاطين المماليك رياضة رُفْي النشَاب:** لم تقتصر الألعاب الرياضية التي انتشرت وبِقوّة في دولة المماليك وبأشكالٍ مختلفة على العامّة من الناس؛ بل شملت حُكّامهم، وهو ما يعكس إدراك المجتمع المملوكي مبكّرًا بأهميّة الرياضة وبالأخصّ رياضة النشَاب في صَفَل المواهب وتصحيح الأجساد لدى المجتمع المملوكي من جهة والتدريب من خلال هذه الرياضات للاستعداد العسكري للدفاع عن دولتهم من جهة ثانية "ففي سنة 667هـ/1268م في الأوّل من شهر محرّم، وحين عودة السلطان الظاهر بيبرس من فتح بحر أبي المتّجا دخل إلى القلعة وأعلن الاحتفال بهذا النصر، حيث أبدى مهارةً فائقة في اللعب برُفْي النشَاب يستظهر من خلال ذلك قوّته، ثمّ بنى مصطبةً بميدان العين خارج باب النصر بالقاهرة، وكان السلطان الظاهر بيبرس حاذقًا في رُفْي النشَاب<sup>2</sup>.

وهنا يبدو الجانب الترفيهي بالنسبة للجند، وتظهر أهميّة<sup>3</sup> ومدى اهتمام السلطان بجنوده حتّى يشاركهم اللعب بالرمح لما في ذلك من أثرٍ في نفوسهم ورفع معنوياتهم<sup>4</sup>، وصار ينزل كلّ يومٍ إلى هذا الميدان يلعب رماية النشَاب فلا يرجع إلى القصر إلّا مع نهاية صلاة العشاء كما سبق وأن ذكرنا، حيث كان يحرص حرصًا شديدًا على تحريض الناس للرُفْي بالنشَاب والرّهان فيه، فما بقي أميرٌ ولا مملوكٌ إلّا وهذا شغله تحريض الناس على لعب الرمح ورُفْي النشَاب<sup>5</sup>، كما جرت العادة أن ينزل هؤلاء السلاطين والأمراء إلى الميدان، فهو المكان العام والرسّي الذي هيأوه لجلساتهم بعد العود من انتصار أو الاحتفال بمناسبة كبرى، ويذكر أحد مؤرّخي دولتهم (المماليك)، أنّه في أحد مرّات نزول السلطان -في حديثه عن حوادث سنة 913هـ/1508م إلى الميدان حضر أمامه ممالك

(1)- لطفي أحمد نصار - المرجع نفسه -ص187 .

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- المقرئ أحمد بن علي-السلوك لمعرفة دول الملوك-ج2-ص55.

(5)- ابن إياس الحنفي-بدائع الزهور في وقائع الدهور-ج4-ص124.



كانوا يرمون النُشاب على الخيل وهم بألة السلاح فأظهروا في فنون النُشاب أشياء غريبة؛ أي: برعوا في الرماية ما شدَّ انتباه الحاضرين<sup>1</sup>.

- النُشاب وسيلة للردع في دولة المماليك: استخدم المماليك عدّة طرق في ردع المخالفين للنظام العام في دولة الممالك عقب الحكم على شخص إثر ما قام به من تعدٍ أو أيّ جُرْمٍ آخر، ومن بين سُبل العقاب الرمي بالنُشاب، حيث يبنون على المحكوم حائطاً أو يربطونه بشجرة، ويبقى معلقاً بها حتّى يلفظ آخر أنفاسه رمياً بالنُشاب<sup>2</sup>، ولأنّ دولة المماليك التي سيطرت على مصر وبلاد الشام والحجاز حوالي ثلاثة قرون من الزمان (648-923هـ/1250-1517م) كانت ذات طبيعة عسكريّة، بالإضافة إلى دورها في حماية العالم الإسلامي من الغزوين الصليبي والمغولي، فإنّها اتبعت طريقة قاسية في تربية المماليك، وتفتّنت في ابتكار طرق التعذيب والإعدام، كما سجلها المؤرّخ المصري ابن إياس، في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور، حين قال: "فالرّمي بالنُشاب" وهي طريقة استحدثها أحد القادة لمعاقبة خصومه، ففي سنة 876هـ/1471م ظفر القائد سُوار بخصمه قَرْقَمَاس، فقتله شَرِّ قتل، قيل إنّه أوقفه في مكان، وبنى عليه حائطاً، وقيل: بل علّقه في شجرة، واستمرّ يرمي عليه بالنُشاب حتّى مات<sup>3</sup>.

ومن الأحداث المتعلّقة برياضة لعبة رمي النُشاب والتي حادت عن مهمّتها فصار لها دوراً في الترهيب لمن سوّلت له نفس مخاصمة القادة والأمراء في هذه الدولة، وممّا ورد في المصادر التي أرّخت لهذه الفترة التاريخيّة، ذكر أحد المؤرّخين أنّه "في يوم الخميس 13 محرّم 875هـ/1470م... رمى يونس بالنُشاب وهو سكران فقتل أحد المماليك في الطريق، فعاقبه قايّنباي بالتوسيط وسجّن رفيقه، وكَم من المماليك كان يسكرو ويرمي النُشاب في الطريق ويصيب أجدادنا الغلابة"<sup>4</sup>.

**11- إبطال لعبة رمي النُشاب:** لقد ذكرنا في مقدّمة هذا البحث أنّ رياضة النُشاب كان لها أبعاداً كثيرة كيف لا وحضور السلطان في ممارستها؛ بل مساهمته في صناعه آلة النُشاب ومن بين ما ذكرنا أنّ الأهداف تعدّت كون لعبة رمي النُشاب أو رياضته هي رياضة وحسب؛ بل كان ذلك وبإيعاز من السلطان ذاته تدريب المجتمع المملوكي في المجال الحربي والعسكري وهذا ما يتضح من

(1)- ابن إياس الحنفي-بدائع الزهور في وقائع الدهور-ج4-ص124.

(2)- فاضل جابر الصنهاجي- الولاتم في دولة المماليك- دراسة في التاريخ السياسي والاجتماعي (648- 923هـ/1250- 1517م)- تموز للطباعة والنشر والتوزيع-2015.

(3)- سارة طالب السهيل- تفنّن الشعوب في التعذيب والاعدام هدر للإنسانيّة// PM 09:55 28-04-2017

<https://www.ammonnews.net/article/311876>

(4)- أحمد صبيح منصور- المجتمع المصري في ظل تطبيق الشريعة السنيّة في عصر السلطان قايتباي

[https://ahl-quran.com/arabic/book\\_main.php?main\\_id=36](https://ahl-quran.com/arabic/book_main.php?main_id=36)

خلال هذه الحادثة، ذكر صاحب السلوك في حوادث سنة 707هـ/ 1305م بقوله: "... ولمّا نصف الليل وقّع بداخل الإسطبل حسّ وحركة من قيام الممالك السلطانية ولبسهم السلاح لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل وتوقعوا الحرب فمنعهم السلطان ذلك... ورمى (حينها) بالنشاب وضرب الطبل فوق سهم بالرفوف السلطاني، واستمرّ الحال إلى آذان العصر... ثمّ بعث السلطان إلى الأمراء يقول: "ما سبّب الركوب على باب إسطبلتي؟" إن كان غرضكم الملك، فهل أنا متطلّع إليه؟، فخذوه، وابعثوني أيّ موضع أردتُمْ.."، والمغزى من هذه الحادثة التي أوردتها المقرئ هو، الكشف عن حجم المكائد التي كانت منتشرة، ودور رياضة رمي النشاب في التدريب الحربي داخل مجتمع الممالك هو الوقوف على العلاقة الوطيدة بين السلطان وهذه الرياضة، من خلال البعد الذي شجّعت من أجله وهو الجانب العسكري والأهمّ.

وفي ذلك تعرّض السلطان في حدّ ذاته باستخدام هذا النوع من آلات الرياضة والتي هي في الأساس آلة حرب للإطاحة بحكمه وترويعه الأمر الذي جعل الظاهر بيبس يُبطل رياضة رمي النشاب، ويُغلق محلات بيعها، كما ورد في المصادر التاريخية "وفي يوم الإثنين الثامن ذي القعدة سنة 724هـ/ 1323م<sup>1</sup> رسم السلطان الظاهر بيبس بإغلاق دكاكين النشاب، وهدم مرامي النشاب... واشتدّ قلقه، ثمّ طلب السلطان والي القاهرة وأمره أن يهدم ما بقي بالقاهرة من حوانيت صنّاع النشاب، وينادي. مَنْ عمل نشابًا شُنق، فامتثل ذلك وخُربت جميع مرامي النشاب، وغُلّقت حوانيت القوّاسين، ونزل الأمير برّسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم وعزّفهم عن السلطان أنْ مَنْ رَمَى بالنشاب من ممالكهم أو عمل قوسًا كان أستاذة عوضًا عنه في الإِتلاف..."<sup>2</sup>، ولمّا كثُر خروج السلاطين في المواكب التي تضمّ الفرسان وآلات الحرب والرمي أصبحت تُميّز مواكب الحرب عن مواكب السلم، فكانت تستخدم راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تُعرف بالجاليش في حالة الخروج للحرب، أمّا مواكب السلم فكانت تخلو من هذه الراية<sup>3</sup>.

خاتمة: من خلال تتبّع هذا الموضوع الذي يكاد يعكس الطبيعة البشرية على مرّ العصور في تشابهها، من حيث ممارسة الحياة العامّة والخاصة، فالإنسان لا يستطيع أن يتجرّد من إنسانيّته المبنية على الجِدِّ والترفيه، وعليه خلّصت الدراسة إلى النقاط التالية:

(1)- المقرئ أحمد بن علي- السلوك لمعرفة دول الملوك- ج3-ص74.

(2)- المقرئ أحمد بن علي- المصدر نفسه- ج3، ص22-74.

(3)- مدوّنة المفكرة- الفروسية والرماية في عصر الممالك الأربعة، 8 ديسمبر 2021.

<https://almufakira.blogspot.com/2021/12/blog-post.html> -

أولاً: الوقوف على جانب من الحياة الاجتماعية المتمثلة في الرياضة وقدرتها على إظهار ملامح الحياة داخل المجتمع العربي والإسلامي.

ثانياً: الوقوف على أهمية الألعاب والرياضات وبالأخص لعبة رياضة رمي النشّاب ومدى تطورها في دولتي الممالك.

ثالثاً: التأكيد على أنّ كثير من الألعاب والرياضات المنتشرة في عصرنا الحديث ترجع أصولها إلى الفترات الإسلامية.

رابعاً: خلصت الدراسة إلى أنّ نشأة ما يعرف حديثاً بالملاعب الرياضية وصلات الألعاب ترجع إلى العصر الإسلامي الوسيط، فمن الأوائل الذين أنشأوا هذه الأماكن لتكون مسرحاً للألعاب المختلفة السلطان بيبرس الذي أنشأ ميدان القَبَق، وميدان القلعة، والميدان الذي أنشأه السلطان الناصري وغيرها من الميادين التي خُصّصت لممارسة جميع أنواع الألعاب والرياضات المختلفة خاصة التي ترتبط بالفروسيّة.

خامساً: إلقاء الضوء على أنّ تطوّر العلاقات الخارجية والداخلية من خلال عقد مثل هذه المباريات الرياضية، كانت له جذوراً وأبعاداً في مصر المملوكية، فكثيراً ما كانت تشهد الميادين الرياضية المختلفة استقبال رؤس وسفراء من مختلف أنحاء البلاد المجاورة لتوطيد العلاقات بمشاركهم في المشاهدة والاستمتاع بممارسة الألعاب الرياضية المختلفة داخل الميادين.

سادساً: إنّ ظهور ما يعرف حديثاً بالمدارس الرياضية والعسكريّة لم يكن جديداً في المراحل التاريخية السابقة، فالطباقي المملوكي يعدّ خير شاهدٍ على فكرة إنشاء هذه المدارس، فقد كان مخصّصاً لإعداد المملوك ليصير فارساً ومشاركاً في جند السلطان، ممارساً لجميع أنواع الرياضات.

سابعاً: حاول هذا البحث إلقاء الضوء على بعض وسائل الترفيه في عصر الممالك، فعلى الرغم من انشغالهم بالحروب الصليبية فإنّ مظاهر الحياة الاجتماعية لم تُهمَل عندهم، وأنّ أسلافنا استطاعوا مبكراً أن ينظروا لرياضة رمي النشّاب من خلال رصد جملة قواعد لا يمكن لمن يريد دخول الميدان تجاوزها خاصة في ظلّ وجود رؤس الدُول والقاصدين لتهنئة الحاكم بمناسبة الاحتفال.

ثامناً: لاحظنا سكوت المصنّفات المملوكية خاصة عن الحضور النسوي في مثل هذه الرياضة.